

# حوار حول الاخلاق

## شخصيات المحاوره

صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي، سيدة ثرية جميلة مثقفة.

سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه.

حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.

عبلة: مهندسة زراعية.

دينا: مديرة شركة كبرى.

أنجيلا: ممثلة.

ربيع: طبيب أشعة.

صونيا: على مبدأ أنّ الإنسان كائن إجتماعي يفعل بالآخرين وينفعل بهم، تأسس هذا المنتدى الأدبي ليساعد على قدح العقول ببعضها، تماماً كما تُقدح حجرة الصوان بالزناد، وكما تكون نتيجة قدح الصوان بالزناد شرارة نارية تضيء مصباحاً وتشعل حريقاً تهيء لإعداد وليمة، كذلك قدح العقول ببعضها يطلق الشرارة التي تضيء فضاء الإبداع وتشعل مخزوناته فتعلو النار ويتأجج اللهب وتولد الحضارة الإنسانية.

حسام: من بريق عينيك سيدتي تشتعل النيران في قلبي، ويتأجج اللهب حتى تطاول ألسنته كل كياني، فيضيء بين أضلعي ويتوهج في مقلتي، أما ارتعاشة شفتيك فهي الزناد الذي يقدح صوانه تصنمنا لتنبعث منها نيران الإبداع فتولد القصائد وتتلون الكلمات بألوان الورد وشقائق النعمان، أعذروني أيها الأصدقاء إذا ما قلت أنّ مسؤولية الرجل الأولى في الحياة هي أن يغني جمال المرأة وتوهج أنوثتها، ثم يغني جمال رديف المرأة التي هي الطبيعة، هذا التآلق الأنثوي في المرأة والطبيعة هو مولد الحركة الايجابية في عقل الرجل وقلبه وخياله وغريزته، لولاه لكان الرجل صنماً لا يضر ولا ينفع، أو في أحسن الأحوال حيواناً راقياً منتصب القامة ولكن فارغ العقل معطل الحواس.

عبلة: أن نغني مجد الجمال وقديسته شيء، وأن يثير الجمال غرائزنا ويؤجج نيران الشبق في شهواتنا شيء آخر. أما أنتم شعراء الزمن الرديء فكلكم مهوسون أو شذاذ آفاق، تهيمون في صحاري شهواتكم، فأحلامكم لمع سراب، وقصائدكم تهويمات عقل باطني يفيض بمكوناته القذرة التي مهما حسنتم من أطرها وهذبتم من ديكوراتها ستبقى رائحة قذارتها تزكم أنوف القراء والمستمعين الذين يملكون الحد الأدنى من الحسّ النقدي الأصيل.

لينا: حنانيك صديقتنا فما صديقنا حسام إلا كاهنٌ من كهان معبد أتون، نذر نفسه لعبادة شمس الجمال التي تضيء ولا تحرق، منذ زمن طويل خرج حسام من عبادة آمون الى عبادة أتون، ألا تعلمين أنّه صديقٌ حميمٌ لأخناتون ونفرتيتي، ألا ترين ملامح نفرتيتي واضحة المعالم في قصائده، وهو إن تغزل بصونيا فالأنه يجد فيها تجلياً جديداً من تجليات نفرتيتي.

أنجيلا: هذا هو التحشيش الخيالي بأمه وأبيه، حسام يتماهى مع أخناتون ويتخيل صونيا تتماهى مع نفر تيتي، منذ أكثر من سنة رسمت صديقة لي لوحة موحية، رجلٌ يغوص في الوحول القذرة حتى ركبتيه، ولكنه يرفع يديه الى السماء ويحدق بعينين متألفتين بقرص الشمس الذي يرسل أشعته الذهبية لتضيء كل الوجود، ترى حسام يمثل هذا الشخص؟ غارقٌ حتى ركبتيه في مخازي شهواته ولكن عيون روحه تحدق في شمس العقل والجمال والحرية؟

ربيع: أنا شخصياً لا أشك للحظة واحدة أنّ صونيا هي تجلٍ من تجليات نفر تيتي، ولا أشك أيضاً أنّ الجمال هو فيض نور الله وبهائه ولذا كان من واجب كل إنسان يحترم إنسانيته أن يغني مجد الجمال ويتعامل معه بروح القدسية، كذلك لا أشك أبداً أنّ الجمال هو ينبوع الخلق والإبداع والإبتكار.

سليمان: يحرصنا الجمال للإنعتاق من صلصال الجسد الى النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة، تلك الخميرة الإلهية التي أودعت في عجين صلصالنا لتسري في عروقه نوراً وتضيء بين خلاياه، يحدو بنا الجمال لنقطع صحاري الصلصال بقدم الروح للوصول الى خيام الحبيب، حيث الروح والريحان وجنات النعيم، حيث مجالس العاشقين الذين يشربون بكؤوسٍ من نور شراب التسنيم، فينتشون ويرقصون رقصة الفراش حول القناديل، حتى إذا احترق الطين اللازب في كيانهم غدوا أشخاصاً من نور يتربع الله على عروش قلوبهم، هذا هو النور على نور أيها الأصدقاء وما عداه باطل الأباطيل.

صونيا: إبتدأت مع حسام بانجذاب جمالي مشكوك بنواياه واستمررت مع ربيع بتجلٍ جديد لنفر تيتي وانتهيت مع سليمان في مجالس العاشقين الذين يطوّف عليهم بكؤوس شرابها التسنيم، كلكم أعطاني جمالاً لا أستحقه ورأيتموني بعيونٍ منحازة نظرتها ليست موضوعية، فما أنا إلا امرأة عادية من قرية جبليةٍ مشلوحهٍ على صدر صنين، تشرب من نبع عسله، وتغتذي من درّ لبنه، امرأة عادية أمها كانت تخبز على الصاج وتقول لها وهي الى جانبها طفلة، ما أجمل هذا الوجه المحمّر المقمّر المستدير كالرغيف، ولكنكم شردتم بعيداً فنحن اليوم مجتمعون للتداول في موضوع الأخلاق.

عبلة: أنا كمهندسة زراعية أفهم أنّ الجسد البشري بغرائزه وأحاسيسه ومشاعره هو نتاج الطبيعة، والأخلاق التي ترعى مسلكية الجسد يجب أن تكون محاكاة للطبيعة بنواميسها وقوانينها، وهذه المسألة في غاية الصعوبة لأنها تتطلب دراسات عميقة وميدانية لمظاهر الطبيعة من جماد ونبات وحيوان، وتسليط الأضواء على ما هو كائن وليس على ما نرغب نحن في أن يكون.

ربيع: أنا لا أشك بهذه المقولة، يكفي أن نراقب النبات مراقبة بسيطة لنفهم أنّ الحياة في النبات مصدرها أشعة الشمس من جهة والماء من جهة أخرى، هذان العنصران يفاعلان في العنصر المنفعل الذي هو التراب وما يحتوي من معادن وغيرها.

أنجيلا: إذن هناك دائماً فاعل ومنفعل، والعلاقة بينهما علاقة جدلية، فلا قيمة للفاعل إذا لم يوجد منفعل ولا قيمة للمنفعل إذا لم يتوفر الفاعل، وأنا أستنتج من ذلك درساً للمسلك البشري، فالإنسان الذي يصرّ أن يبقى دائماً في مركز القائد هو مخالف لنواميس الطبيعة، والإنسان الذي يصرّ أن يبقى دائماً في مركز المنفعل هو مخالف لنواميس الطبيعة، والإنسان المحقّ يجب أن يكون فاعلاً ومنفعلاً، هذا لا يلغي أنّ بعض الأشخاص تغلب الطبيعة الفاعلة عندهم على الطبيعة المنفصلة، فالمرأة في هذا الشرق العتيق مثلاً هي في أغلب الأحيان منفصلة وفي القليل النادر فاعلة.

لينا: وهل تعتبرون الرجل الشرقي فاعلاً؟ هو في الحقيقة ليس فاعلاً إلا على زوجته وأولاده، ولكنه منفعل دائماً أمام كاهنه وزعيمه ورئيس قبيلته وحتى أمام النصوص التي يقرأها والكلام الذي يثرثره، ليت الرجل الشرقي فاعلاً لكننا قد تخلصنا على الأقل من الاقطاع السياسي والديني ومبدأ توريت السلطة وعبادة الأشخاص.

حسام: يشرفني أن أكون منفعلاً بالجمال أفتش عنه أينما وُجد في الطبيعة، في الأنوثة، في ومضات الفكر الثاقب في مقامات المتصوفين وأحوالهم، في براءة الأطفال وشفافيتهم، في لمسات المفكرين وإبداعاتهم، في شطحات الشعراء وجمالياتهم، في تمنطق أصحاب الفلسفات والأيدولوجيات، وبعد أن أرتوي إنفعالاً وتتعتق خمور الجمال في دهاليز أحاسيسي، عندها يصعد بخار القصائد وفيه لمعات

النشوة وبروق الخلق والإبداع، فتولد القصائد وتتمسق الترنيكات بأوزان غير مألوفة وقوافٍ بكر لم تخطر على قلب بشر.

سليمان: الطبيعة والمرأة وجهان لحقيقة واحدة، الحنين للعودة الى تراب الأرض، والحنين للنوم على صدر امرأة، الحنين للسفر في بحار الأرض واكتشاف جزر الزمرد والياقوت، والغوص في خلجان مكتنزة بالمحار، كالسفر في عيني امرأة لاكتشاف جزر ملونة من الأحاسيس والمشاعر، والغوص في خلجان صافية تفتيشاً عن صدف متفتح عن لؤلؤ نادر كتلك الدرّة اليتيمة التي حلم بها علاء الدين.

صونيا: بعض علماء الاجتماع إعتبروا الأخلاق نتاج صيرورة المجتمعات وتقلبات أحوالها بين فقر و غنى وقوة وضعف وسيادة وارتهان، وواقع طبيعة السلطات وعلاقتها بالجماهير وعلاقة الجماهير بها، كذلك يعتبرون الأخلاق نسبية تتغير من واقع الى واقع آخر، ومن زمن الى زمن آخر. فالعفة مثلاً تعتبر من أهم الفضائل الأخلاقية في مجتمع فقير يعيش على الحد الأدنى من الكفاية، والكرم هو الفضيلة المرادفة للعفة لأن الذين يحتاجون الأخذ أكثر بكثير من القادرين على العطاء. ونحن ما زلنا حتى يومنا هذا وقبل أن نخلد الى النوم نناجي الله وندعوه بخشوع وضراعة أن يهبنا فضيلة العفة وأن يزرع في قلوبنا حبّ العطاء.

سليمان: تعطين من بهاء جمالك الكثير من الإيحاءات، ثم تتعفين عن الشهوات، إنها الصفات التي نادى بها أختاتون وجسدتها نفرتيتي، وهي أهم بند في دستور علم الأخلاق. ولكني بتواضع أخالف علماء الاجتماع في مقولاتهم، فأنا أربط الأخلاق بالخير والحقّ كقيم جوهرية منزرعة في جبّلات نفوسنا منذ بدء التكوين، وهي ما يمكن تسميتها بالضمير، إنها بديهيات بواسطتها تفسر الأشياء والمسلكيات، وهي غير قابلة للتفسير لأنها جوهر وجودنا الإنساني، بل هي خميرة الألوهة في ذواتنا. بربكم قولوا لي في أي عصر من العصور إعتبرت العفة قبلاً و رذيلة ولم تعتبر جمالا وفضيلة؟ في أي عصر من العصور لم يمدح كل أصحاب العقول العطاء والكرم والترفع عن صغائر الأمور.

حسام: أنا لا أشك لحظة واحدة أنّ الإنسان مفطورٌ على حبّ الجمال، فحبّ الجمال ليس درساً يتعلمه الإنسان في مدرسة المجتمع أو يكتسبه من معايشة الآخرين، إنه حقيقة منقوشة على مرآة جوهر النفس الإنسانية منذ بدء التكوين، ولذلك هو شيء أخلاقي بامتياز وعدم التفاعل معه هو الإنحطاط الأخلاقي بشحمه ولحمه.

صونيا: إذا فهمنا الجمال تناسقاً في عناصر الكثرة داخل الوحدة كما تناسق الأعضاء داخل وحدة الجسد، وتناسق الطبقات والشرائح والمؤسسات داخل وحدة المجتمع، وتناسق القوميات والأثنيات والحضارات داخل وحدة الإنسانية، كان الجمال هو العمود الفقري لعلم الأخلاق.

عبلة: أنا شخصياً ضد قانون النسبية الذي يروج له الكثيرون بأن كل المفاهيم الأخلاقية والفكرية والجمالية تتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، كل ما أظنه أنّ المظاهر تتغير ولكن الجوهر يبقى ثابتاً، تماماً كما تتغير تمظهرات الذات الإلهية عبر الأدوار والعصور ويبقى جوهر الله واحداً أحداً أزلياً سرمدياً، الزمان والمكان في قبضته وليس هو في قبضة الزمان والمكان. " كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن."

لينا: حتى في علم الفيزياء ألم يقل العلماء أنّ الكتلة ثابتة لا تتغير والذي يتغير هو تمظهراتها المختلفة عبر الأزمنة والأمكنة.

سليمان: وأنا أعتقد أيضاً أنّ عدد الأنفس الإنسانية ثابت منذ بدء التكوين لا يزيد ولا ينقص، لأن النفوس الإنسانية أشعة من نور الشمس الإلهية لكل شعاع كينونته الخاصة به وبصمته الخاصة به والتي تميزه عن غيره عبر تقلباته في الحيوانات المختلفة عبر سفره اللامتناهي في الزمن.

أنجيلا: وكيف تفسر إذن هذه الزيادة المطردة في سكان الأرض؟ كل الكتب تقول أنّ عدد أفراد البشرية في العصور الوسطى لم يكن يتعدى المليار وهو الآن يقارب السبعة مليارات.

حسام: ومن قال لك أنّ الأرض هي الكوكب الوحيد المسكون في هذا الكون الرحب؟ ومن قال لك أنه لا يوجد تبادل أرواح بين كوكبنا البائس وكواكب أخرى قد تكون أكثر فرحاً وتطوراً، العدد ثابت ومواقع الإقامة متغيرة.

عبلة: وهل مقاييس جمال السنوات على الكواكب الأخرى المسكونة سيكون مشابهاً لتلك على كوكب الأرض؟ وهل أوهامكم تزين لكم معشر الرجال إذا انتقلت نفوسكم الى كواكب أخرى ستبقى الأثداء الناهدة والأرداف المترجرة والشفاه المرتعشة والعيون الناعسة دينكم وديدَنكم؟ هل ستبقون مهووسين بتضاريس جسد المرأة كما أنتم اليوم مع محاولتكم المشبوهة لستر ذلك الهوس ببعض الديكورات العاطفية.

سليمان: مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة والأشكال والتمظهرات، سيبقى للجمال مقياس ثابت غير قابل للتبدل إلا عند المهووسين والمجانين وهو التناسق والتناغم وكل كيان مؤلف من عناصر وأجزاء وأعضاء متناسقة متناغمة هو كيان جميل. ألا تلاحظين التناسق بين بياض الوجه وسواد الشعر وحمرة الشفتين وتورد الخدين واكتناز الردفين واستدارة الساقين وانقطاع الخصر؟ ألا تلاحظين أنّ المجتمع الجميل هو المجتمع الذي تناسقت فيه السلطات وتناغمت المؤسسات والطبقات والأثنيات والأفراد، فوق كل شيء في موقعه المناسب حسب إمكانياته وكيونته، هذه هي الأخلاق بناء التناسق والتناغم في أيّ إبداع نبدعه أو مسلك نسلكه أو عمل نعمله أو فكرة نكتبها أو كلام نقوله أو عاطفة نحسها أو قصيدة نغنيها.

أنجيلا: أنا كممثلة أعتبر بناءً على كلامك هذا أنّ أكثر ما أنتجناه من تمثيل ومسرحيات وقصائد ومقالات في هذا الشرق العتيق هو إنتاج قبيح وغير أخلاقي لأنه يفتقر الى التناسق والتناغم. أين التناغم في مسرح الممثل الواحد الذي يحاكي ديكتاتورية الحاكم في ميادين السلطة أين التناغم في ذلك الرقص الشرقي الذي لا يثير الا الشهوات الجامحة النازعة الى التفجرات الفوضوية؟ أما شعراؤنا الذين يرففون كلمات وعبارات غير مفهومة ويدعون أنهم يحاكون نظريات فرويد وأدler ويقلدون المبدعين الغربيين كما يقلد الغراب الطاووس، أو يدبجون القصائد المدحية في أناس لا يتقنون إلا فنّ ابتزاز المجتمع واستغلال الفقراء واضطهاد العقلاء



والمبدعين، أين التوازن والتناغم في توزيع ثرواتنا القومية لأناس يمتلكون آلاف الملايين والى جانبهم ملايين الجائعين الذين يعيشون على إنفاق دولارين في اليوم؟ أين التوازن في المؤسسات الدينية التي تمتلك أوقافاً بآلاف الملايين وبين المتدينين الفقراء الجهلاء الذين لا يجدون مدرسة تعلمهم ولا فرصة عمل تتيح لهم الإنتاج الشريف، أين التوازن في السلطات التي في أكثر بلدان هذا الشرق المقهور محصورة في قبضة رجل واحد إذا عقل عقلت الدولة وإذا جنّ جنّت معه الدولة. ألا نعيش اليوم حالات جنون لبعض الحكام الذين ولد جنونهم الخراب والدمار والفقر والتشرد وإستباحة الكرامات والأعراض والممتلكات؟

ألا نعيش اليوم حالات التنافر بين السلطات والتنافر بين الطبقات والمذاهب والأديان والمناطق؟ فأين توازن التعدد في قلب الوحدة والذي لا نفتأ ونقول أنه أساس علم الأخلاق وأساس علم الجمال.

صونيا: ولكن هيمنة الباطل لا يلغي الحقيقة، والعجيب أنّ الباطل في أغلب الأحيان كان يتجلبب بجلباب الحقيقة، والشرّ يحاول أن يقدم نفسه للبسطاء وللإنتهازيين بمظهر الخير، وفي جعبتي أمثلة كثيرة عن ذلك. فالأوروبيون المتدينون قتلوا في أميركا في القرن السابع عشر ما يقارب الإثني عشر مليون هندي أحمر. وكان كبار رجال الكنائس يفتون بأنّ الهنود الحمر بالرغم من كونهم ضمن مخلوقات الله، فإنهم لم يخلقوا بروح المسيح وإنما خلقوا بروح أخرى ناقصة شريرة، وأكد أكثرهم وبتقّة أنّ الهنود الحمر مثل الحيوانات مخلوقات بلا روح ولا ضمير وبالتالي فهم لا يحملون القيمة الإنسانية التي يحملها الرجل الأبيض، وبفضل هذه النظريات "الحكيمة" أصبح بمقدور المستعمر الأوروبي أن يقتل ما شاء من الهنود بلا أدنى ظل من ندم أو شعور بالذنب، ومهما بلغت بشاعة المذابح التي يرتكبها المستعمر الأوروبي طوال النهار، لم يكن ذلك ليفسد عليه نقاء قداسه الذي يقيمه كل ليلة قبل النوم.

سليمان: وهذا ما فعله الخوارج في التاريخ الإسلامي، وما فعله الصليبيون بأهل القدس المسيحيين " ولكن ليس على مذهبهم" فذبحوهم عن بكره أبيهم، والمهزلة

الآن تتكرر في العراق مع الأزيديين الذين يعتبرهم المهاجمون مخلوقات تملك صورة البشر ولكن الله بريء منهم ومن خلقهم براءة الذئب من دم يوسف.

أنجيلا: هذا كله يدل أن ما وُصف بدستور الأخلاق أي الوصايا العشر ليس إلا أكذوبة يتلاعب بها سدنة الأديان الإبراهيمية حسب مصالحهم وتوجهاتهم مبررين للمؤمنين البسطاء الشرور والأباطيل والردائل وهم يوهومهم أنهم لا يفعلون إلا الصواب الذي يرضي الله ويرضي أولياء الأمر وسيكافؤون بالجنات التي تفيض عليهم بكل ما لذّ وطاب من النساء المطهرات والخمور التي لا تصدع وقصور المرجان والياقوت.

عبلة: هذا كلامٌ صحيح فأول بند في دستور الأخلاق التوراتي لا تقتل ثم لا تسرق ثم لا تشهد بالزور، وإذا عدنا الى سيرة أنبياء التوراة وجدناهم أول من مارس القتل والسرقة وشهادة الزور، فما هو يوشع يقف أمام جنوده على مشارف فلسطين أرض الكنعانيين ويخاطبهم قائلاً هذه هي الأرض التي وعدكم يهوه بها أدخلوها واقتلوا رجالها وإسبوا نساءها وأحرقوا بيوتها واقتلعوا اشجارها وامزجوا دم أهلها بدم كلابها... هذا كلام المؤتمن على دستور الأخلاق، لا يكتفي بقتل إنسان بل يريد قتل شعب بكامله ولا سرقة دينار بل سرقة خيرات بلاد بكاملها، ولا اغتصاب امرأة بل اغتصاب وإسترقاق آلاف النساء دفعة واحدة. وها هو إبراهيم يوصي زوجته سارة " التي تعتبر رمزاً لطهارة النساء " قائلاً لها إذا دخلنا أرض مصر فلا تقولي أنك زوجتي بل قولي أنك أختي فلعل الفرعون أعجب بك فيكون لنا من ذلك خيراً كثيراً. هكذا تصان الأعراض في دستور الأخلاق من له أذنان فليسمع ومن له عينان فلينظر وليشهد.

حسام: كنت أقرأ في تاريخ اليونان وزحف الاسكندر الى الشرق وفتوحاته العظيمة التي وصلت الى حدود الصين، ما لفت إنتباهي تلك الروح الحضارية التي تصرف بها الاسكندر وقواده في حياته ومن بعده، لقد تصالح مع الشعوب المغلوبة وبنى المدن التي تنتشر حضارة اليونان وعلومهم وفلسفاتهم وأدبهم وفنهم، فكان العهد الإغريقي في الشرق عهد ازدهار وسلام وطمأنينة ورقي ونشاط فلسفي وأدبي

فالاسكندرية طوبت الوريثة الشرعية لأثينا والرها ونصيبين وجنديسابور كانت منارات للفكر اليوناني المتفاعل مع حضارات الشرق القديمة.

لم يحاول الإسكندر وورثته بطليموس في مصر وسلوقس في بلاد الشام أن يجبروا الناس على عبادة آلهة اليونان فكل الآلهة كانوا في نفس المقام إحتراماً وتقديراً ولم يستعلوا ويتفوقوا كشعب غالب بل تزاوجوا مع شعوب الشرق بالجسد والروح والفكر وأنتجوا حضارة كوكتيل يوناني فرعوني بابلي آرامي فكانت من أجمل الحضارات التي عرفتها البشرية.

لينا: لم يدب الفساد في الإمبراطورية الرومانية إلا بعد أن تنصّر الإمبراطور قسطنطين وساهم في تقسيم الدين الى مذاهب وفرق فكنيسة الإسكندرية أرثودوكسية قبطية وأثينا سلكانية وأنطاكية نسطورية، ثم ابتداء التذابح بين أتباع الكنائس وتكفير البعض للبعض الآخر والإتهام بالهرطقة، وظل الأمر هكذا حتى محاكم التفتيش في أوروبا في القرنين الخامس والسادس عشر والناس تكفر بعضها وتذبح بعضها كل ذلك باسم المحافظة على الأخلاق وكل ذلك تحت مظلة الوصايا العشر.

سليمان: والإسلام الذي جعل شعاره السلام عليكم، وحجر الأساس فيه فكرة العدالة، إذا بالمسلمين في العهد الأموي يتذابحون بين أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج. فالحجاج وحده قتل مليون إنسان وهذا الرقم إذا أخذنا بالاعتبار سكان الأرض في القرن السابع الميلادي والذي لم يكن يتجاوز الخمسمائة مليون، علمنا أنّ ضحايا الحجاج تعادل ضحايا الحرب العالمية الأولى، وما فعله أبو مسلم الخرساني باسم إعادة الحقّ الى نصابه والخلافة الى آل البيت لا يقل ظلامية عما فعله الحجاج. يكفرون بعضهم البعض فيستحلون الدماء ويغتصبون النساء ويبيعون الأطفال في أسواق الرقيق، كل ذلك وهم يدّعون أنهم مؤتمنون على الدستور الأخلاقي لا يفرطون بكلمة واحدة منه.

صونيا: تتقف الرومان على يد اليونان فكانوا إذا احتلوا بلداً نشروا فيه الأمن والسلام وأضافوا آلهته الى مجمع آلهتهم لتتوحد البلاد كلها في العبادة وفي الولاء للدولة وعدم الشعور بالإرتهان أو الإضطهاد، لم يجرب الرومان عندما احتلوا

مصر البطالمة وسوريا السلوقية أن يفرضوا عليهم عبادة جوبيتير ولم يقللوا من قيمة آمون أو أدونيس وعشتروت وزوش، فالكل كانوا آلهة وبنفس مستوى القداسة حتى أنّ عائلات من المشرق إستطاع أفرادها أن يصلوا الى سدة الحكم ويكونوا أباطرة في روما كعائلة كركلا التي لا زال أحفادها يعيشون في لبنان ويقدمون الإبداع تلو الإبداع حتى اليوم، فهل كانت بربكم روما البابوية أكثر أخلاقية من روما القيصر أو كركلا؟

سليمان: دعونا نعود الى التحديد المنطقي للأخلاق.. كل مسلك مخالف لقوانين العقل وقوانين الطبيعة يعتبر مسلك غير أخلاقي. وكل عمل فكري أو مادي مخالف لقوانين العقل أو قوانين الطبيعة يعتبر عمل غير أخلاقي، ولذلك يجب أن يتواكب علم الأخلاق مع علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك، تلك العلوم التي تسعى لاكتشاف قوانين الطبيعة لفهمها وتسخيرها لمنفعة الإنسان وخيره، وكذلك يجب أن يتواكب علم الأخلاق مع علم المنطق الذي يسعى لاكتشاف قوانين العقل الكلي المسؤولة عن تنظيم صيرورة هذا الوجود بناءً على مبدأ أنه أوجد لكل شيء سبباً يتبع سببه.

صونيا: عليك أن تقدم أمثلة تضيء بها على وجهة نظرك لأنها معقدة بما فيها الكفاية.

أنجيلا: بل هي كعقدة البراكسا التي واجهها الإسكندر عندما همت جيوشه بالعبور الى آسيا.

سليمان: سيكون مثلنا عن الزواج فالزواج حسب قوانين منطق العقل هو مرحلة إنتقال الإنسان من كونه كائن فردي الى كونه كائن إجتماعي فالزواج هو بناء خلية جديدة في جسم المجتمع عليها أن تتفاعل إيجابياً مع بقية خلايا المجتمع لما فيه الخير العام، ولذلك هو عقد حرّ مسؤول بين رجل وامرأة، ولكي يكون كلا الطرفين مسؤولين عما تعاقدا عليه يجب أن يكونا راشدين عقلاً وجسداً، ويجب أن يكون تعاقدهما تعاقداً حرّاً دون أي إكراه وإجبار أو ضغوطات أو خداع كي لا يكون هناك أي مبرر لعدم تحمل مسؤولية بناء أسرة ناجحة تساهم في نجاح المجتمع. أمام هذه

الحقيقة المنطقية نجد الشعوب " المتدينة خصوصاً " تشرع زواج فتيات قاصرات جسداً وعاطفة وعقلاً، فلا بناء أجسادهنّ اكتمل ولا بناء عقولهن ابتداءً وهذا يعني أنهن لم يؤخذ رأيهنّ في الموضوع فكيف يتحملن مسؤولية إنتاج أسرة ناجحة وأخلاقية. في هذه الحالة هناك سيد وجارية والجارية لا هم لها إلا إرضاء سيدها بالحقّ أو بالباطل، ولذلك هي مرغمة بدافع الخوف والتملق أن تسلك أي مسلك يطلبه السيد، عندها تصبح أخلاق تلك الزوجة أخلاق عبيد وليس أخلاق أحرار، ومن أولى سمات أخلاق العبيد أنّ أفكارهم ومسلكياتهم تحركها المنافع ولا تحركها القيم فهم يكذبون ويسرقون ويخونون ويفعلون أي شيء في العتمة بعيداً عن أعين السيد، هكذا أسرة أي أولاد ستقدمهم للمجتمع غير أولاد يمتلكون شخصيات مزدوجة ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر، لسانها يلوك عبارات الفضيلة وجوارحهم تفيض بالشهوات والأحقاد وهذا ما نراه في شرقنا العتيق. نحن نعلك القيم صباح مساء وقلوبنا غلفت لا يدخلها نور تلك القيم التي نعلكها، نعلك شعارات الحرية ونحن عبيد مسترهنين للإقطاع السياسي والمالي، نعلك شعارات الوطنية وولأونا للعائلة والقبيلة والطائفة، نعلك شعارات الإنسانية ونحن نكفر بعضنا البعض بل نستحل دماء بعضنا البعض. باختصار نحن أبناء عائلات تحكّمها أخلاق العبيد ولا تحكّمها أخلاق الأحرار.

عبلة: أريد أن أسأل سؤالاً، هل إعتبار جسد المرأة عورة إعتبار أخلاقي؟ خصوصاً أنّ ما ينجم عن هذا الإعتبار هو حبس المرأة في البيت وإغراقها بالسواد طوال حياتها وحرمانها من حقّ العمل والإنتاج وبناء شخصية إقتصادية مستقلة وحرمانها من العلم العالي وحقها بالخلق والإبداع.

حسام: لا شيء سمم نفسية الرجل وجعلها تنحط الى المستوى الحيواني غير هذا الإعتبار فالرجل الشرقي ينام وخيال جسد المرأة ينام بجانبه على السرير، إنه يحلم بجسد المرأة ليل نهار، إنه مدمن مخدرات إسمها خيال جسد المرأة وحتى المتخمين بالنساء وأجسادهنّ لا يفارقهم ذلك الجوع النفسي والخيالي فهم يأكلون ولا يشبعون ويتخمون وتمرضهم التخمة وتبقى نفوسهم وعيونهم تتضور جوعاً.

لينا: لا شيء أفرز في مجتمعاتنا الفقر والجهل والفكر الغيبي إلا تشريع الزواج المبكر وملازمة المرأة لبيتها وإغراقها في السواد من جهة والمواعظ التي تتعمد القصص والسير الخرافية المخالفة لمنطق العقل في اعتمادها الخوارق والمعجزات، دلوني على امرأة واحدة تلازم عتمة بيتها وسواد ثيابها وهي لا تؤمن بالجن والعفاريت والأرواح الشريرة وضربة العين والخطوط السوداء؟

دلوني على امرأة واحدة تلازم بيتها غارقة في السواد وهي لا تقص على أولادها الصغار كل يوم أخبار الأولياء والقديسين والمتصوفين الذين انقطعوا الى الصلاة والتأمل تاركين كل شؤون الحياة ومسؤولياتها لأهلها والله يرسل لهم طعامهم وشرابهم بواسطة الملائكة أو يسخر الناس لخدمتهم لأنهم المختارون.

أنجيلا: ملازمة المرأة لبيتها ومنعها من قيادة السيارة ومخالطة الرجال أو ارتداء الثياب الملائمة للعمل، أفقد المجتمع نصف الأيدي العاملة وبالتالي نصف الإنتاج فغرق المجتمع في الفقر خصوصاً وأنا نعيش في ظل نظام العولمة الذي لا مكان فيه للضعفاء والعاطلين عن العمل لأنه عصر إستهلاكي بامتياز حيث يجب أن يتكاتف كل أفراد الأسرة لتلبية الحاجيات التي يتطلبها العصر، ولنزيد على ذلك أن المرأة التي تلازم البيت لا نافذة لها على السعادة إلا المأكل والمشرب وممارسة الجنس الأمر الذي يجعلها بشكلها الجسدي وتضاريسه خارج مألوف المقاييس الجمالية فيملها الرجل ويبدأ بالتفتيش عن البديل، وكذلك تتلهى المرأة بإنجاب الأطفال على أساس أن زوجها ليس ضماناً حقيقية لها فهو قد يتزوج بغيرها في أي لحظة ولذلك تتعمد المرأة إغراق الرجل بالأولاد لمنعه من إبخار أي قرش كي لا يستعمله ضدها وضد أولادها فيعم الفقر الذي تطمئن المرأة له رغم قسوته أكثر مما تطمئن الى زوج ميسور.

حسام: ثم يأتي جهابذة رجال الدين ليطرحوا شعارات أن كل مولود يأتي رزقه معه، وأن من واجب المؤمنين التكاثر، وأنه من العار أن تمارس المرأة الجنس للذة وليس للإنجاب والمرأة التي تفعل ذلك هي امرأة شيطانية. ثم يتوغلون في آرائهم العجيبة الغربية فالمرأة التي تأكل الفضلات والخبز المتعفن هي المرأة الفاضلة والمرأة التي تكتفي بقراءة الكتب الدينية وتشيح بوجهها عن قراءة الشعر

والمسرحيات والروايات وكتب الفلسفة وتعتبر ذلك باباً الى الزندقة هي الأكثر نقاءً وصلاً وطهارة، وكلما أمعنت في إقفال نوافذ بيتها وإسدال الستائر والجلوس في العتمة كلما ازدادت قربى من الله، كل ذلك أفرز بيوتاً متعفنة ونفوساً متعفنة فلا شمس الطبيعة تدخل البيوت ولا شمس المعرفة تدخل العقول.

ربيع: عندما قلنا أن كل كيان غير متوازن هو كيان غير أخلاقي وكل عمل غير متوازن هو عمل غير أخلاقي فمعنى ذلك أن الإنسان الذي لا يوجد توازن بين عقله وخياله وعاطفته وغريزته هو إنسان غير أخلاقي وطبيعي أن تكون أعماله غير أخلاقية، فالبطولة إذا لم تتوازن مع النزعة الإنسانية والإحساس بالواجب تجاه كرامات الآخرين وحررياتهم تصبح بلطجة وإرهاباً، والشغف العاطفي إذا لم يتوازن مع حب الخير للحبيب إنقلب جموحاً يثمر الإغتصاب والتعدي وتدمير الآخر، والقيادة إذا لم تتوازن مع المشاورة ووزن القرارات بميزان العقل والمصلحة العليا للمجتمع انقلبت إستبداداً وديكتاتورية لن تثمر إلا الخراب والشر والتلاعب بمصيرهم ومستقبل الأجيال الصاعدة.

عبلة: إسمحوا لي أن أسأل سؤالاً خارج السياق، هل المثلية التي تنفشى في الغرب ويصل رذاذها الى بلادنا عمل أخلاقي أو غير أخلاقي؟

سليمان: لقد وضعنا المقاييس التي تقاس بها الأعمال ويحكم عليها بالأخلاقية أو اللاأخلاقية، وقلنا أن ما ينسجم مع قوانين الطبيعة أخلاقي وما لا ينسجم مع قوانين الطبيعة لا أخلاقي، فإذا كان جسد الذكر سليماً وعادياً ولا يوجد فيه أي خلل بيولوجي كانت المثلية بالنسبة إليه تصرف غير أخلاقي مخالف لقوانين الطبيعة، وثمره لخيال مريض وعهر نفسي، أما إذا كان في جسد الرجل خلل بيولوجي فهذا شيء آخر.

لينا: وممارسة الجنس مع الحيوانات هل يمكن أن نجد له تبريراً عقلاً؟

سليمان: هناك قانون في علم الفيزياء يقول أن لكل فعل ردة فعل تساويه في القوة، والفعل الخاطيء لا بدّ وأن تكون ردة فعله خاطئة مثله، فاعتبار جسد المرأة عورة وحبس المرأة في عتمة البيت ومنعها من مخالطة الرجال جعل المرأة تتصرف

بشكل متوحش شاذ والرجل يتصرف بشكل متوحش وشاذ، فممارسة الجنس مع الحيوان ليس إلا ردّة فعل هذا الكبت اللاإنساني الذي تسببه ابتعاد الرجل عن المرأة وهذا يدل بشكل واضح أنه إذا ما سلكننا مسلكاً خاطئاً ولم تعاقبنا القوانين الوضعية على ذلك المسلك الخاطئ فستعاقبنا القوانين الطبيعية فلا فعل إلا وله ردّة فعل.

حسام: زرت أميركا في الصيف الماضي فرأيت العجب العجاب أكثر من نصف النساء تزن الواحدة قرابة المئة كيلوغرام، أكثر من نصف الرجال بالكاد يستطيعون السير على أقدامهم من فرط السمنة، دخلت مطعم مأكولات سريعة فهالني ما رأيت طبق البييتزا بوسع الصاج بلغتنا اللبنانية، سندويش الهمبرغر عدة طبقات وكأس البيبسي ليطراً كاملاً. سألت نفسي ما سبب هذا الشره في المأكّل والمشرب يأكلون بعيون فارغة وكأنهم لن يجدوا ما يأكلونه في اليوم الثاني، فاجأتني أميركا بتخلفها الجمالي وبأزيائها السوقية، وهنا خرجت باستنتاج أنّ أميركا تسيروها نخبة مثقفة أحسن تثقيف وهي فوق ذلك تجتذب كل موهوبي العالم إليها بعروض مغرية وتستورد كل العقول النيرة التي تبشر بالإبداع وبالتالي التفوق، والتخلف يتعايش في أميركا جنباً الى جنب مع التفوق، في كل مدينة هناك مزبلة بشرية لا مكان للضعفاء في أحياء الأقوياء ولا للفقراء حيث يقيم الأغنياء، مجتمع صقور وحمّام، ولكن هناك قوانين صارمة توفر الحد الأدنى من التوازن، أميركا هي الوريثة الشرعية لروما فبشرها بالفساد والإهتراء والسقوط كما حصل في روما. أما نحن فالحمدلله نقلد أميركا كما نقلد القرد صاحبه، فبيروت ليست إلا نيويورك مصغرة وكما لنيويورك مزبلتها البشرية في هارلم بيروت مزبلتها البشرية في المخيمات وغيرها، ولكن مزابل بيروت ليست هامشية كمزابل نيويورك، إنها شريكة في القرار السياسي والإرشاد الديني وغيره وغيره.

أنجيلا: باختصار نسأل هل نحن شعب أخلاقي؟

سليمان: وباختصار نجيب نحن نعيش أسوأ مراحل الإنحطاط الأخلاقي، فالتوازن مفقود بين ظاهرنا وباطننا وبين عقلنا وخيالنا وبين عاطفتنا وغريزتنا وبين تنظيماتنا العائلية والقبلية والطوائفية وبين مؤسسات الدولة، وبين الفقراء والأغنياء، والأقوياء والضعفاء، وبين فخامة شوارعنا وقبح مخيماتنا، وبين سيداتنا في رأس بيروت



والأشرفية وسيداتنا في الضواحي، وبين المقيمين والمغتربين. إننا مجتمع قبيح ونوهم أنفسنا بأننا منبع جمال، مجتمع إتباعي يجتر تقاليده ومحفوظاته ونوهم أنفسنا بأننا مجتمع إبداعي، مجتمع يخرب جمال الطبيعة ويبدد خيراتها ثم يغني لها وينشد لها الأناشيد ويدبج لها المدائح، مجتمع يتشدد فيه رجال السياسة والدين بفضائلهم وهم متواطئون مع سماسة الأرض والعرض والمواقف والقرارات وأخيراً أقول:

كنت الغبي فلست أدري

إنني دريت وليتني

الجميع:

كنت الغبي فلست أدري

إنني دريت وليتني